

" عينٌ خلفَ الإصدارات "

- ما لم تراهُ في الإصدارات

المكان : مدينة الرقة ، دوار الجحيم (دوار النعيم)

شخصٌ ما يضرب علي كتفي فالتفتُ إليه ..

- أهلا أبو أيوب شلونك شو أخبارك

= واللهِ الحمد لله شو أخبارك أنت !؟ وينك مختفي ! الجنوبي يدوَّر عليك ضروري جدًا !

- خير إن شاء الله شو في ؟

= " هامسًا " لا أدري بس يمكن في عمل ف حلب وبيدور عليك عشانه فضروري كلمه .. !

- خير إن شاء الله

" مُحدثاً نفسي " :

(للتوِّ عُدنا من المعركة الماضية منذ ثلاثة أيام تقريبًا) !

والآن يُريدني الجنوبي ! الله المُستعان ! هكذا نحنُ العُزَّاب ، لا أحد يأبه لراحتنا ولا لإجازاتنا .. !

ليس لديك زوجة ! فلِمَ تأخذ إجازة وماذا ستفعل فيها غير أنك ستقضي بعض الوقت في النوم أطول من النوم في المعركة ..

ذهبت وفتحت النت بهاتفي ، الكثير من الرسائل من الجنوبي مُفادها أحضر إلي حلب حالاً ، تحديدًا مدينةِ الباب ..

الجنوبي ؛ أبو محمد الجنوبي ، من جنوب جزيرة العرب ، مُهندس طاقة ، عسكري كتيبة أبو معتز القرشي جيدة الصيت والسمعة ..

إحدى كتائب جيش الخلافة ، إنسان مُسالم ، خفيف الدم ، طلق الوجه ، لم يتجاوز الـ 26 عاماً ، ابتسامته لا تُفارقه ، تواضع جَمْ .

الجنوبي هو أميري المباشر ، لكن بعيدًا عن العمل هو صديق شخصي لي ، وتربطني به علاقة إخوة وصداقة حميمة بعيداً عن العمل الجهادي ..

وعندما تتداخل الإخوِّة والصداقة والعمل ، يكون لديك أفضل توافق وانسجام يؤدي إلي أفضل النتائج في المعارك ..

جهزت حقيبتي وركبت السيارة مُنطلقاً إلي الباب ، ساعتين من الرقة تقريبًا ، في إحدى شوارع المدينة قابلت أحد الشباب ودلَّني إلي مكان الجنوبي ، دخلت عليه ودار بيننا حوار :

- السلام عليكم

= وعليكم السلام ، يا الله ! حيّه ، وينك يارجال ؟! مع ابتسامة مليئة بالعتاب " ..

- هذه وصلتي ، للتو وصلت ..

= جيب جوالك وافتح الخريطة ما في وقت ..

- خير شو الترتيب ..

= الأمور جيدة ، خد أبو معد وياك وروح استطلع ، أبو معد عارف المكان وهيفهمك الترتيب كويس ..

المكان : 1 كيلو متر شمال شرق مدينة حلب ، المنطقة الصناعية ، الشيخ نجار ..

الزمان : ربيع 2016

الوضع : تم رصد تحركات مشبوهة للنظام بالمنطقة الصناعية والشيخ النجار ، بالتزامن مع تقدمه شمال مطار كويريس العسكري

المطلوب : خيرُ وسيلة للدفاع ، الهجوم .. !

أخذت أبا معد وذهبنا للرصد ، العمل مشترك بين جيش ولاية حلب و3 كتائب من جيش الخلافة ..

الجميلُ في جيش الخلافة ، أن كتائب جوالة للاقتحام فقط ، أينما تحتاج الدولة أن تفتح معركة في مكانٍ ما ، يكون جيش الخلافة رأس الحربة والهجوم ..

جيش الخلافة لا يُدافع ، ولا يرابط ، فقط يقتحم ، للمحافظة علي الروح القتالية دائمًا عالية ما شاء الله تبارك الله ..

كُنا تقريباً في المنتصف ، قلب المعركة ، بعد الرصد والتصوير رجعنا لغرفة العمليات لمقابلة الجنوبي ، الوضع جيد إلي حدٍ ما ..

فيما يبدو نقاطنا سهلة بفضل الله ، اقتحام مطاحن القمح وقطع طريق الإمداد وعزل المدينة الصناعية من الغرب باتجاه سجن حلب المركزي ..

فيما يبدو سهلة BMB مُفخخة للمطاحن تليها مجموعات اقتحام من ثلاث اتجاهات ، ومجموعة ستلتف مع المضادات من الميمنة لقطع الإمداد أثناء العمل ، بسيطة !

بمساندة كتائب المدفعية والدبابات والقناصين ، ذهبت للتنسيق مع مجموعة القناصين لتحديد نقاطهم ، بعدها لكتيبة المجنزرات لتحديد أهداف الدبابات ، وكذلك المدفعية ..

الطبية ومجموعة الإخلاء حاضرة أميرهم ، الإماراتي ذلك المجنون الذي لا أراه خائفًا أو حتى مُتوترًا في أحلك الظروف ..

أعصاب من فولاذ ، و برود قاتل ، لديه من القدرة علي الصمت والتأمل في أي شيء لمدة ساعات متتالية ولا يجد في ذلك أي مشكلة !

باقي المطبخ ويكون كل التنسيق قد انتهي ، بالأحرى تتميز كتيبة أبو معتز القرشي بمسؤول مطبخ على مُستوي عالي ..

أبو ناصر الجزراوي ، لا داعي للتأكيد والتنسيق معه ، الرجل يعرف ما يفعل ، يكفي أن يسمع أحد المُرابطين علي اللاسلكي نُريد طعام ..

أو كما يقولون الرجل المناسب في المكان المناسب ، باقي الكتائب كانت قد استطلعت محاورها وأخذت مواقعها ..

تم نصب المدافع الميدانية ، القناصين في نقاطهم ، الدبابات في مواقعها ، غرفة العمليات جاهزة .. تنسيق عالي مع المحاور المجاورة ، الطبية ، المطبخ ، المحروقات ، الصيانة ..

كل شيء علي ما يُرام ، أعددنا لهم ما استطعنا من قوة ، كان لدينا الوقت الكافي ليري كل جندي بالمجموعة نقاطه التي سيقتحمها

الجنوبي للتوّ عائد من الإجتماع ، ساعة الصفر ، الليلة !

المكان : علي بُعد 800 متر من نقطة الاشتباك !

الزمان : بعد منتصف الليل

الهدوء القاتل ! تكاد لا تسمع صوت إلا لحركة السيارات للعدو ، في تلك اللحظات ، حدث شيءٌ غريب في كيمياء الوقت ..

إن كنت تجلس بانتظار ساعة الصفر سيمر الوقت كأنه سنيين طويلة ، لكن في نفس ذلك الوقت إن حدث شيءٌ ما طارئ مهما كان بسيطًا وتحتاج لاحتوائه لن تجد وقتًا !

وإن كانت لديك الساعات الطوال ، لن تكفي لأي شيء على أي حال ، مُعضلة عسكرية لا أفهمها ولا يبدو أن لها تفسير !

الجنوبي علي اللاسلكي يُحرض الإخوة ويُذكرهم بالله عزّ وجل ،

ويُنادي عليّ

- يا أبو " فُلان " تسمعني ؟!

= أسمعك واضح يا جنوبي أرسل !

- شو الوضع عندك ؟

= تمام الأمور جيدة منتظرين إشارة التسلل ..

- استعن بالله خلي الإخوة تتحرك ، أنا ف المحور الثاني برتب أمور وجايك

= عُلِمْ

بدأوا الإخوة بالتسلل بين الأشجار أميرهم أبو مؤمن ، وبدأت المجموعة الأخرى بالتسلل من الجهة الأخرى لتكون خلف نقطة الاشتباك لقطع أي إمداد أميرهم أبو عبد الرحمن ..

بعد نص ساعة تقريبًا علي اللاسلكي

- الجنوبي : أبو مؤمن ، وضعك ؟

= أبو مؤمن : المعلوم في المكان المعلوم ، وصل أبو مؤمن لله ..

- الجنوبي : أبو عبد الرحمن وضعك ؟

= أبو عبد الرحمن : المعلوم في المكان المعلوم كلٌّ شيء علي ما يُرام

الـ BMB جاهزة والاستشهادي مُتلهف وأنا معه لتوجيهه ..

- الجنوبي يتفقد المحاور المُجاورة ، لحظة الاشتباك لابد أن تكون واحدة ..

الجنوبي : يا " فُلان " (عسكري العملية) !

= أرسل أرسل

- شو وضعك ؟ أنا أموري تمام ومنتظر إشارة العمل !

= انتظر لا تتحرك المحاور الأخرى مو جاهزة ، متأخرين ف التسلل

- عُلِمْ

يُناديني الجنوبي علي اللاسلكي : يا " فُلان " كلمني خاص ضروري !

= (علي الخاص) أسمعك يا جنوبي أرسل

- الكتائب التانيه متأخرة وكأن عندهم مشاكل ، انتبه للمفخخة وخلي عيونك مفتحة من الكونكورس والكورنيت ..

= عُلِمْ

مرت ساعات وبقيت نصف ساعة علي الفجر ، الخُطة العمل قبل الفجر بساعة ، لا يطلع النهار وإلا والمجموعات قد سيطرت علي أهدافها ، النهار بدون النقاط = الموت !

- الجنوبي : يا عمليات يا عمليات ! شو وضع المحاور ؟

= الأوامر بالانتظار !

بعد ساعة أخرى

- الجنوبي : (بلهجةٍ حادة) ، يا عمليات يا عمليات !

= تسمعك العمليات واضح ، الأوامر بالانتظار !

الجنوبي يتحدث لعسكري العام للمعركة لابد من الاقتحام تحت أي ظرف حتى لو تأخرت المجموعات الأخرى لا ضير .. !

أما مجموعاتنا نحن بالذات إذا انكشفت فتلك مصيبة ، المطاحن مبني ضخم وعالٍ ، ولا يوجد أي شيء تستر به ! بساتين مفتوحة ،

المفاجأة للعدو هي مفتاح المعركة !

بدأ التوتر يسود اللاسلكي ، الجنوبي غاضب علي التردد العام ولن يُضحي بجنوده ويقول ما يراه صالحًا له ولجنوده !

(إن لم تصل الكتائب الأخرى للنقاط خلال 10 دقائق سأقتحم وليكن ما يكن !) الأدرينالين يتدفق كلما أقترب الفجر !

يُغالب ذلك الأدرينالين النوم ، والبرد ينخر العظام ، وتستند علي BMBمُفخخة كفيلة بإنهاء البرد في جسدك ! للأبد !

شخصياً ، الأدرينالين والبرد والنوم كله يهون أمام تلبك الأمعاء من التوتر ! بعد عشر دقائق ، صوت غريب علي التردد العام من غرفة العمليات .. عسكري عام ولاية حلب وعضو هيئة الحرب !

- يا جنوبي يا جنوبي ؟

= أسمعك الجنوبي أرسل !

- بالأمر المباشر ، إلغاء العمل والعودة للنقطة صفر !

= عُلِمْ

اتلغت العملية وتم تنفيذ الأمر ..

لم أكُن أعرف وقتها أفرح أم أحزن لذلك الإلغاء ، مُحزن لإلغاء العمل بعد أن كان كل شيء في مكانه ، ومُفرح للإلغاء حتى تترتب الأمور في المحاور الأخرى ولا مجال للمغامرة بحياة الإخوة ..

يُنادي الجنوبي جميع المجموعات ، العودة للنقطة صفر ..

- يا " فُلان " تسمعني ؟

= أسمعك يا جنوبي أرسل !

- قابلني في العمليات ..

ذهبت للعمليات لحضور الإجتماع ، لا جديد ، الخُطَّة كما هي ، غير أنه يتم تلافي أخطاء الأمس من تأخير وخلافه ..

وذهب كل شخصٍ إلي عمله ، ذهبتُ أنا لأنال قِسطاً من الراحة ، أو بالأحرى لينال عقلي قسطاً من الراحة والتفكير ..

ثُم جالت بي الأفكار كعادة البشر قبل النوم ، الأسئلة الوجودية والكونية ، من عينة كيف نشأ الكون ؟!

لم يكن السؤال بهذا الشكل ، ولكن كان السؤال ، أنا ماذا أعمل في الكتيبة ؟! عملي هذا الذي ليس له مُسمي ، ماذا يُسمى ، مسؤولٌ عن الاستطلاع والرصد !

ولكن الرصد والاستطلاع ينتهي بمجرد بدء المعركة ! ، أما أنا أبقى مَسحولًا من قبل المعركة بأيام وبعد المعركة أنا آخر من يرحل ..

وأثناء المعركة في تحت يد العسكري في كل شيء بدايةً من الطبية والطعام ونقل المجموعات مرورًا بتعويض نقص أمراء الكتائب المصابين أو المقتولين نهايةً من الخوف الذي أخاف منه وهو تحمل مسؤولية المُحاصرين أو العالقين ..

كُل هذا العمل الغير مُسمى ينالُ من عقلك وكمية تفكير تُرهق العقول ! خطأ واحد في أي من هذه الأعمال = روح شخصٍ ما !

لم ينتهي بي التفكير في السؤال حتى دخل الجنوبي !

- جنوبي بالله أريد أكلمك شوي

= مالك وش فيك

- لا والله أبداً بس مُرهق نفسياً من العمل

= (يضحك الجنوبي) ويقول أعرف بس ما عندي غيرك

- جنوبي بالله أنا إيش أشتغل ف الكتيبة ، استطلاع صح ؟!

= نعم بالنسبة للرسميات أنت استطلاع ، ما عدا ذلك أنت جوكر ، كُل عملٍ لا يندرج تحت بند فهو عملك ، وكل عمل ترى فيهِ تقصيرًا في الكتيبة لك الصلاحية الكاملة بالأمر والنهي فيه ..

- فاهمك بس يعني ، أيوة نعم انت موفر لي كل شي أريده وضمنيًا معطيني صلاحية أحرك أي شي في الكتيبة ،

بس ، الأمر فعلا مُرهق ، مُخي أحيانا بيهنج ، لا بالفعل يا جنوبي مُخي في لحظة معينة بيقف وبنسى أنا بفكر فإيه ..

الاحتكاك بكمية الإخوة دي وكل مفاصل الكتيبة وكل كبيرة وصغيره ، والتنسيق مع الكتائب الأخرى ، شيء فعلا مُرهق ، نعم أنا فعلً مستمتع بالعمل بس تعبت !

= يضحك الجنوبي مرة أخري ويقول ، قم قم نام عندنا شغل بالليل ..

تركني الجنوبي غارقًا في تفكيري اللامتناهي ، وغالبني النوم ،

استيقظت بعد الظهر تقريباً ، لنُعيد ترتيب العمل ، صوت اللاسلكي الذي لا يفتر عن نداء اسمي الذي كرهته من الضغط النفسي ..

مُحدثاً نفسي ، سنُكمل هذا الأمر فيما بعد ، لدينا عملٌ الآن ..

كما الأمس ، لا جديد ، المجموعات في أماكنها ، الـ
BMBالمفُخخة في مكانها ، كل شيء على ما يُرام ..

انطلقت المجموعات ، كل المحاور جاهزة ، كانت كلمة السر بيني وبين الجنوبي من أجل تحريك المفخخة التي ستكون بداية الحفلة ..

– يا " فُلان " ! ، شلونك أخبارك ؟

= والله تمام ، المعلوم تحرك !

انطلقت المُفخخة ، وهُنا تبدأ قصتنا !

بعد انطلاق المُفخخة بأمتار .. تراسلت مع الجنوبي .. للهدف تحرك ، ثم سمعتُ صوتاً غريباً ، نظرت ، المُفخخة تدور حول نفسها !!

ثم بدأ بالعودة إلينا ولكن لا أراها من الظلام ! خرجت من خلف البيت لأري أين هو وإذ به باتجاهي تمامًا ولا يراني ، كاد أن يسحقني !

دخان كثيف جداً يخرج منها .. تخيلت أنها احترقت والانفجار بأي لحظه ! ذهب إليها وخرج الاستشهادي منها وسألته ماذا حدث ..

توقعت كل شيء إلا هذا ، بقايا قصف قديم حطمت أعمدة كهرباء التوتر العالي ، الأكبال علي الأرض وهي سميكة جدًا ..

دخلت إحدى الأكبال في الجنزير حول العجلات ، وبقيت تدور المُفخخة حول نفسها حتى " تلعبك " الكابل بالكامل في الجنزير !

على اللاسلكي

- يا " فُلان " شو صار معك ؟!

= جنوبي كلمني خاص !

- أسمعك على الخاص بس قولي ليش ما وصل الأخ للآن !؟

= جنوبي بدون تفاصيل ، اقتحم !

- ايش تقول ؟

= بقول اعط الأمر بالاقتحام ، مافي مُفخخة ، اقتحم !

الجنوبي على التردد العام ..

- إلي جميع المجموعات والمضادات ، استعينوا بالله ، افتح نااار
!

وبدأت الحفلة بصور زخات الرصاص ..

صوت الثقيل المُفضل لدي يهدر كالعادة ، التكبيرات تعلو اللاسلكي ، بعد دقائق من الاشتباك ، يتحدث أبو مؤمن أنه فتح بوابة المطاحن واقتحم المبني الأول و قتل كل من فيه ..

بل وسيطر عليه ويقتحم المبني الثاني حاليًا ، كانوا كلهم أفغان وباكستانيين ومليشيات شيعية ..

أبو عبد الرحمن يصل إلي طريق الإمداد ويقطعه ، المحاور الأخرى تقتحم محاورها وتسيطر علي نقاطها كاملة ..

علي ميسرتنا ، تمت السيطرة علي بلدة كفر صغير ودخول أطراف المنطقة الصناعية ..

تم الوضع على ما هو عليه حتى طلع الصُبح ..

دخل أبو مؤمن المبني الآخر في الطابق الثاني وسُمع صوت اشتباك وبعدها قُطع التواصل معه ، - تقبله الله - و أسكنهُ الجنة !

خرج قسم من الإخوة ليكملوا ما بدأه أبو مؤمن ، عبر قسم منهم بالفعل للمبني الآخر ، ولكن يُود قناص بالأعلى ، يحاول أبو لين المصري العبور ، يصيح عليه أحد الإخوة لا تخرج يوجد قناص ..

رفض أبو لين وقال " ما أحد يموت ناقص عُمر " ، بالفعل خرج أبو لين وكان له موعدٌ مع القناص ، طلقتين في الصدر أردته قتيلًا من فوره - تقبلهُ الله - وأسكنه الفردوس ..

وفجأة حصل مالم يكن بالحُسبان ، المبنيين هم مطاحن ، والمطاحن متصلة ببعضها من الأعلى بممر لنقل الطحين !

الإخوة بالمبني الأول انتبهوا لحركة غريبة علي السطح ، لم يكن لديهم الوقت الكافي لتفقده ، بالفعل عبر جنود النظام من المبني الثاني للأول عبر الممر ..

صاروا فوق الإخوة في البنائيِّن ، وبدأوا بالنزول تدريجياً من الأعلى ، أصوات الاشتباكات لا تنقطع بل تزيد وتزيد ..

الجنوبي يُتابع ما يحدث عبر اللاسلكي ، ويأمر الإخوة بالخروج خارج المبني ويحتمون بالسور من الخارج ولا يتحركوا ..

لأنهم إن تحركوا سيكونون مكشوفين إذ لا يوجد أي شيء للاحتماء وبالتالي عُرضة للقتل من الأعلى من جنود النظام ..

علي الفور يُناديني الجنوبي ويطلب مني إخلاء الإخوة فوراً ،

كيف ، لا أعلم ، فقط إخلاء الإخوة !!

علي الفور طلبت من المجموعة الأخرى والمضادات فتح النار بشكل مُكثف علي المباني لتأمين خروج الإخوة ..

طلبت من كتيبة المجنزران BMB **وسائق للإخلاء ، للأسف كل** BMB **تعمل في المحاور المجاورة ، طلبت من الأمير حضورها حالًا ، أجاب بأنه لا يستطيع حاليًا ..**

وضع الإخوة الآن يُنذر بكارثة ، ربما يُتلون جميعاً ، تخيل هوِّل الموقف ، ما يُقارب 10 إخوة يجلسون تحت سور المطاحن مباشرة ، والعدو فوقهم تماماً ، ينتظر فقط تحركهم ولو متر واحد فقط !

ذهبت لكتيبة القناصين أريد 4 قناصين علي الفور ، أخذتهم في مقابل مبني آخر فقط لإشغال المرتدين وعدم خروجهم من النوافذ ..

بعدها طلبت من العمليات BMB من أي محور مجاور ، بعد دقائق الإجابة ، لا يُوجد !

مهمة الـ BMB ستسير لمسافة 800 متر مكشوفة تمامًا لأي مصدر نار ، تذهب للإخلاء وتعود ، ولذلك لا تصلح إلا شيء مُصفح ..

– الجنوبي يُنادي ع اللاسلكي !

قد وصل بنفسه إلي الإخوة مُتسللًا بين الأشجار ، كيف ، لا أعلم !!

يدير الجنوبي الإخوة بنفسه من هناك ، يوجد أخين كانوا قد احتموا بالطريق الإسفلت أمام المطاحن ..

الطريق عالي إلي حدٍ ما عن الأرض ، فهم منبطحين تحته ، فقط إن رفع رأسه ، قُتل !

يُنادي الجنوبي أحد الإخوة ، لا تتحرك لا ترفع رأسك ، أنا بجانبك ، رفع الأخ رأسه ، وفاضت روحه – تقبلهُ الله – في عليِّين !

ناديت علي الدبابة ، أرمي المطاحن ، وانتبه الإخوة قريبين جدًا ، بالفعل رمي ، ولكن للأسف أصاب الإخوة !!

الهاون ، يا هاون أرمي خلف المطاحن ، مالك دخل بالمطاحن ، أرمي بالخلف تمشيط تمشيط فقط ..

ولكن أيضًا من قدر الله تنزل القذيفة وسط الإخوة ، يُقتل أخٌ آخر – تقبلهُ الله – في الفردوس الأعلى !

يا رب ماذا يحدث ، شيء لا يُصدق ، عقلي لا يستوعب ما يحدث !

ينادي الجنوبي ، بالأمر وقف إطلاق نار من جميع الاتجاهات ، لا حد يرمي طلقة كله يتوقف عن الرمي ..

أسمع وأدرك كل ما يحدث علي اللاسلكي وأعلم تمام العلم أن خروجهم بإذن الله يقع علي عاتقي ، هذا ما أخشاهُ دائماً !

كُنت خلال ذلك قد وصلت للعمليات دخلت ، الصمت يسود المكان ، لا أحد يُصدق ما يحدث ، والكل يترقب ما سيحدث !

قلق ، توتر ، أرواح تُزهق ، ما السبيل ؟!

طلبت الاتصال المُباشر بعسكري عام ولاية حلب ..

– أخي ، دبرلي BMB أو أي مُصفحة حالاً ..

= حاليا لا يوجد

– أخي تصرف ، الإخوة تقتل بكل دقيقة تمر !

بعدها بدقائق يطلب مني التواصل مع أمير المُحور المجاور ، تأتيك BMB بالفعل أخبرني أنه تُوجد واحدة في الطريق إلينا ..

حسبت أننا قد انتهينا ، تصل الـ BMB وتدخل فورًا للإخلاء ، بعد نصف ساعة تقريبًا تُناديني العمليات ، الـ BMB وقعت في خندق وانقلبت ، تصرف !

الله أكبر !! ،كل الظروف ضدنا ، كل الإمكانيات تُحاربنا ، لكن يوجد يقين بالله أنها ستُفرَج، ولكن كيف ومتى لا أعرف كيف!

وقفت السيارة وجلست هائمًا علي وجهي ، ما العمل ماذا أفعل ، أنجدنا يارب ، يارب يَسِّر وأعِن وسدد .

أثناء كل ذلك ، يناديني الجنوبي بالاستعجال ، الوقت يمر ليس بصالحنا، كانوا الإخوة علي قسمين حول السور ..

والوضع يسير من سيئ إلي أسوأ، المضادات ومجموعة أبو عبد الرحمن ينادون ، النظام حشد رتل علي رأسه 3 دبابات ويحاول التقدم باتجاه المطاحن ، وهم يصدونه بفضل الله ، ولكن أيضًا الوقت ضيق جدًا جدًا جدًا جدًا !

فجأة يصيح ابو معد بجانبي، الـ BMB المُفخخة! الله أكبر ! كيف لم تخطر هذه بخاطري ، ولكنها مُفخخة!!! قذيفة RBG واحدة كفيلة بإنهاء الإخوة والمطاحن وواجهة المدينة الصناعية، جحيم بكل ما تحتويه الكلمة من معنى!

عدا ذلك هي أصلا عاطلة، كابل الكهرباء يلف حولها بالكامل، ولكن هُناك فكرة تحتاج بعض الوقت والتفكير!

- يا مجنزرات!، أرسلي مولد كهربائي وقاطع حديد وقابلني عند المعلوم = أي المُفخخة .

– يا تفخيخ يا أبو عمر المصري، جيب أغراضك وقابلني حالًا عند المعلوم، حالة من النشاط تدب فينا، ما شاء الله .

يتدفق الأدرينالين بقوة، وابتسامات تُلقى أثناء العلم أنها قد فُرجت بإذن الله، الله يُدافع عن الذين آمنوا.

بالفعل بمُجرد وصولي كانوا قد سبقوني، المولدة تعمل و قاطع الحديد يعمل ويقطع كابل الكهرباء .

ومجموعة التفخيخ تفكك التفخيخ وبدأت بتنزيل الحمولة التي تزن 1 طن تقريبًا أو يزيد!

بعد نصف ساعة، كان كل شيء علي ما يُرام، نجحنا، فجأة، تذكرت أين السائق، لا يُجد سائق والاستشهادي ربما قد ذهب لمحور آخر!

علي الفور ذهبت لكتيبة المجنزرات، أحتاج سائق فورًا، ولكن للأسف كانت الإجابة أنهم كلهم علي الجبهة يعملون!

يا الله ! ، بدأت بفقد صوابي، الغضب يُسيطر عليّ، بدأت بالصراخ،" يعني إيه مفيش سائق ؟! انتوا شغلتكم إيه"!؟

للإنصاف، بالفعل كل السائقين على الجبهات، ولكن لا أحد يلومني، ليس باليد حيلة ودماس المساكين بالداخل تقع على عاتقي!

بالفعل فقدت صوابي، وبدأ عقلي يتوقف عن التفكير! ناديت أبو معد، تصرف ولاتسألني كيف، تصرف!

- ينادي الجنوبي، يا " فُلان "اتصرف وخرجنا من هنا! صوت اشتباك، أخ آخر قُتل -تقبلهُ الله- من الشُهداء!

وإذ نحن كذلك دخل علينا أخ بكل برود ، لماذا تصيحون ما المشكلة، نظرت إليه بنظرة ولسان حالي،" مش نقصاك"!

تكلم معه أبو معد وقال نحتاج سائق BMB،

رد الأخ ثقة وبرود واستغراب، أنا سائق BMB، ما المطلوب؟!

مرت بضع ثواني حتى استوعبت كلامه ، لا أكاد أصدق ، على الفور أخذته في السيارة وذهبنا للـBMB.

ركب فيها، وأفهمته ماذا سيفعل، وأعطيته أخ آخر كان بجانبي ليساعده، إذ كان الأحياء المتبقون من الإخوة مُصابين!

كان صوت الـ BMB عاليًا جدًا، أعطيت الأخ اللاسلكي اللي كان معي وأخبرته أن يُتابعني عليه.

ما إن خرج الأخ من مكانه، حتى رأيت الجنوبي ومعه 3 إخوة بالفعل قد خرجوا بأعجوبة !

ينظر إلي الجنوبي ويبتسم بهدوء ولسان حاله، ماذا يحدث؟!

بدون كلام، ابتسمت له ولسان حالي، لا أفهم شيء مما يحدث، انطلق الأخ للداخل، وجلست أنا والجنوبي وبعض الإخوة على ساتر مقابل المطاحن تمامًا نُراقب ما يحدث.

أنا أواجه المطاحن، والجنوبي وباقي الإخوة ظهرهم للساتر ومتكئين من شدة التعب والإرهاق.

وصل للمطاحن بالفعل، ولكن مُصيبة ! الأخ تجاوز المطاحن ومازال يمشي باتجاه العدو، أنادي على اللاسلكي ولا يرد !

فورًا أخبرت مجموعة أبو عبد الرحمن أن يوقفوا الأخ ويُرجعه للخلف، قد تجاوز الأخ الإخوة !

قد فات الأوان، بالفعل عبر الـ BMB مجموعة عبد الرحمن ودخل المنطقة الصناعية!

الله أكبر، الـ BMB أراها بعيني تجول داخل المنطقة الصناعية في قلب النظام، يا الله ماذا يحدث ! ما الذي جرى !

ظللتُ أنادي على اللاسلكي، حتى رد عليّ ويقول وين الإخوة!
الأخ حتى لا يدري أنه صار بقلب العدو، بل صار خلف العدو!

يُنادي الأخ والصوت ضعيف جدًا يقول توجد رماية شديدة وقريبة جداً عليّ، وين الإخوة!

أخبرته أن يعود فورًا من حيث ذهب، أنت بقلب العدو! إذ نحن كذلك سمعنا صوتًا غريبًا، صوت دبابة!

نظرت للإخوة لأخبرهم بوجود دبابة، لم أكمل الكلمة حتى انعدم السمع عندي واختل النظر، وغبار شديد، أصبنا بإصابة مباشرة بقذيفة الدبابة!

لعدة لحظات، بدأ السمع يعود تدريجيًا، وبدأ نظري يستقر، نظرت جانبي وإذ أحد الإخوة مُلقي علي الأرض والدم ينزف منه.

حملته على الفور بالسيارة وانطلقت للطبية، عقلي لا يستوعب، ماذا يحدث، ما كل هذا ! بعد دقائق عادت الـ BMB ، ووجد الإخوة في طريقه وأخذهم، وعاد إلى النقطة صفر.

- يُناديني الجنوبي، الله أكبر ! الإخوة عادوا بفضل الله هنا
وقعت على الأرض من هوِّل الموقف، انتهى الكابوس!

لا أصدق أنه انتهى !

ربما يختبئ شيٌ ما هنا أو هُناك ، لربما هُناك مُصيبة مازالت لم
تحدث! الله يسترها!

لكن الجنوبي يؤكد أن الإخوة قد عادت، على الفور أغلقت
اللاسلكي ورميته داخل السيارة، نظر إليّ أبو معد وهو يضحك
ويرد يُكلمني، أشرت إليه لا تتكلم، لا أريد أن أسمع صوتَ أحد .

وصرت أضحك وهو يضحك ويتعالى صوتنا بالضحك الهستيري،
ضحك من لا يُصدق أن اليوم انتهى !!!! ، ضحك من فقد عقله
وصوابه ولا يُصدق ما يحدث

ذهبت للجنوبي ودخلت سيارته وفتحت دفتر الإجازات، وطلبت
منه الختم، ضحك وقال شو راح تسوي، قلت له سأخبرك الآن.

أخذت الختم وختمت لنفسي إجازة لعشرة أيام ونظرت للجنوبي وقلت له" مشوفش وشك قبل 10 أيام"، ولا حتى تكلمني على النت ،

قال رتب الكتيبة عشان نمشي، أخبرته هذي كتيبتك، وانا لا أعرفك قبل 10 أيام.

#محمد_رحال

" قتل الجنوبي تقبله الله و بقيت تلك الذكريات محفورة بالذاكرة "

....

عينُ خلف الإصدارات 2

في ذاتِ ليلة باردة ، البرد القارص ، و المطر لم يتوقَّف منذ ثلاث أيام ، تتجمد الملابس بالمياه التي فيها ، داخل الغرفة ، المدفئة تعمل ..

الجو دافئ نوعاً ما ، مُتحلِّقين حولها سمر ، ضحكات ، صمت ، ذكريات الراحلين ، و مزحٌ حول من سيرحل في الأيام القادمة ..

المكان تحديداً : ريف حلب الشرقي ، على بعد 10 كيلو متر من مدينة حلب و مطارها الدولي ، الزمان : شتاء 2016 ..

الوصف : النظام يفك الحصار عن مطار كويريس العسكري على بُعد 20 كيلو متر شرق حلب و يتشظى باتجاه الشمال بنظام احرق كل ما يمشي على الأرض .. !

كانت التحضيرات في الليلة المُقبلة ، استعادة السيطرة على قريتين كان قد استولى عليها النظام قبل أيام ، ومن يُوقف الثور الهائج ؟!

ونحن إذاً كذلك ، نادى المُنادي ، يا خيل الله اركبي ، استنفار عام على اللاسلكي من غرفة العمليات ..

النظام يتقدم على قريتي " قطر " و " تل حطاب " ، المطلوب : إدراك ما يُمكن إدراكه ، تجهزت المجموعات و انطلقنا ..

عُقب وصولنا كان النظام قد استولى على قطر و قرية تل حطابات و يسطو نارياً عليها ولكن ومازالت القرية معنا ، تقابلنا مع المُرابطين ، فهمنا الوضع ..

كان قد دخل النظام القرية و لكن قُتلوا جميعاً وعاد من تبقى أدراجهم إلى التلَّة فاقدين صوابهم ،و عندما يفقد النظام

صوابه ! عليك فعليك أن تلجأ إلى شيء ما يحميك من الجحيم القادم الذي ستُلقيه الطائرات ، القصف الذي لا يعرف الرحمة القصف الهمجي !

وَصلنا إلى ساحة القرية وبدأنا بالتمشيط إلى نهايتها ، جثث النصيرية تملأ كل مكان ، لم نأبه كثيراً لتلك الجثث العفِنة ..

هي بالنسبة لنا كشربة الماء .. ! هل يعتبر أحد شرب الماء شيئاً ملفتاً للنظر أو هل يُعطى لشربة الماء اهتمام ! بالتأكيد لا .

وقفنا خلف آخر بيت في القرية و بعدها حوالي 800 متر مكشوفة تماماً إلى التلَّة ، مسافة كفيلة بقتلنا جميعاً قبل أن يُفكر أحد بالوصول إلى التلة !

ولكن لابد من الاقتحام ، قوانين الحرب ! وقف الأمير " أبو لجين العراقي " يُلقي آخر التعليمات ! ، أبو لجين صاحب شخصية قوية ، حاد الطباع ، محبوب وسط إخوانه ، على قدر عالي من الخُلُق ..

و إذ نحنُ كذلك ، بدَأ ما توقعناه ، ولكن جاء مُبكِّراً هذه المرة ! جالسٌ على بقايا حائط مهدوم إثر القصف النصيري ، إلى يساري البيت الأخير و لكني مكشوف نوعاً ما إلى ما خلف البيت و إلى العدو !

لمحتُ شيئاً يلمع بعيداً خلف البيت ، جال في خاطري الكثير من التوقعات ، ولكني لم ألقِ له بالاً مُلتفتاً إلى الأخوة !

ما إن التفتُّ حتى صعقني توقع ، أيُعقل أن هذا الضوء هو ؟! لم أكمل الكلمة ونظرت إليه مرة أخرى ! ولكنه قد فات الأوان فقد اقترب كثيراً !

صاروخ كورنيت حراري يتجه باتجاهي مباشرةً ، إذ أنني الوحيد المكشوف ، لم يكن في حساباتي أنه تم رصدنا ! و أنا الآن على الهواء مباشرةً على شاشة قاعدة الكورنيت الحرارية !

تجمدت مكاني لم أستطع التحرُّك ، في مثل هذه المواقف دائماً ما يحدث معي ذلك ، أتجمَّد مكاني في انتظار قدَري ، كان قد حدث معي نفس الموقف قبل عدة سنوات .

المكان : إحدى محافظات المخروبة " مصر " .

الزمان : جمعة الغضب 28 يناير 2011 .

الوصف : أحد عساكر الردة يجثو على ركبتيه مصوباً قنبلة الغاز مُسيل للدموع نحوي مباشرةً ، أرى القنبلة تنبعث من البندقية تمر بين أقدام المتظاهرين مباشرةً إلى ركبتي ..

متجمِّدٌ لا أستطيع الحراك ! رغم أنني كنت أراها قبل حتى أن تُطلق ، القَدَر ! ما إن التفتُّ إلى الصاروخ حتى تجمَّدتُّ في مكاني !

أريد الوقوف لا أستطيع ، شيء ما يُمسكني ، ما إن كان بيني وبين الصاروخ أمتاراً حتى رميتُ نفسي وانقلبت على ظهري للخلف ولا أعلمُ حتى ما يُوجد خلفي !

عَبَر الصاروخ من فوره و اصطدم بالحائط وانفجر ! غبار ، شظايا ، نداء كله باسمي ! يا فُلان يا فُلان ! رددت عليهم أنا بخير !

لم أكن بخير تماماً ! أحاول استعادة التركيز من موجة انفجار وحرارة تصهر حديد الدبابات ! تفقَّدتُ نفسي ، لا شظايا ، لا إصابات ، حركت جسدي بالتدريج ، يدي ، قدمي ، كل شيء يعمل ! وجسدي تحت السيطرة ..

نهضت من مكاني و إذ بالسلك النحاسي الذي يتبع الصاروخ بين أرجلي تماماً ، نعم ! كاد ليصطدم بي مباشرةً ! الحمد لله نجونا مؤقتاً !

كل ذلك لم يستغرق في الحقيقة سوى بضع ثوانٍ ، تزيد أو تنوف ..

كنت أستغرب ممن يقول تعرضت للموت و مرَّ شريط حياتي كاملاً أمام عيني في لحظات ولكن هذا ما صار حقاً !

ما عرفنا وما لم نعرف من المدفعية و المضادات صار ينهال علينا صبَّاً صَبَّاً ، الكل يستتر و يأخذ مكاناً مناسباً !

و إذ نحن كذلك ، سمعنا صوت المروحيات ، يا الله يا الله ، هذا ما كان يُقلقنا ! ثلاثة مروحيات فوقنا تماماً ! كافية لتهدم القرية فوقنا ! ثم أنَّ القرية كلها من 10 إلى 15 بيت !

المروحيات لا تحمل معها سوى الخراب و الدمار و أيٌّ خرابٍ ودمار ! براميل متفجرة أو جراتُ الغاز !

وكلاهما في أحسن الأحوال لن تُفضِّله عن الآخر ! بدأت جرَّاتُ الغاز بالسقوط !

لا أسمعَ الله لكم صوتها وهي تنزل فوق رأسك ! ستموت مرَّتين ! مَرَّة بالبطيء عندما تسمع صوتها تدريجياً والأخرى عندما تقتلك !

مهرجان جرَّاتُ الغاز للجميع !

كل مروحية ترمي 12 جرَّة ! نحنُ لا نرى العدو لنقاتله فهو لم يكن يوماً أهلاً لِقتال ، ولكنه القصف ..

تجلس تحت القصف تعد القذائف و جرَّات الغاز ، واحدة ، اثنتان ، ثلاثة ، عَدَدت تلك الليلة من جرَّات الغاز تسعة وثمانين جرَّة ، نعم 89 جرة غاز ! ، ناهيكم عن طائرات الميغ الرُّوسية !

كانت المُعجزة في هذا كله لم يُصب أحد بأذى بتاتاً إلا أبو لجين - تقبله الله !

يُنادي عَلي ، ذهبت إليه و إذ به مُصاب بشظية في بطنه و أخرى في قدمه ، تواصل معنا أبو جندل الكويتي - حفظه الله !

و إذ هو بالمحور الآخر يحاول الاقتحام و لكنه رأى ما يحدث لنا ، فَأمَرنا بإخلاء القرية فوراً ، من تُقاتل ؟! أشباح ؟! ، أم تنتظر الموت تحت حِمَم وجحيم النار حَفِظَ الله الموحدين من شرَّها !

أبو جند الكويتي أشجع جنود الدولة الإسلامية على الإطلاق بشهادة جنود الدولة كلهم ! ، الرجل لا يعرف الخوف ، مجنون حقاً ! لا يعرف الخوف !

فعندما يأمر بالإخلاء ، إذاً هناك خَلَل ما ! بدأنا بالإخلاء كما أمر أبو جندل الكويتي !

قاعدة من قواعد الحرب ، المُصاب لا يثق بأحد إلا من يعرفهم شخصياً ..

ناداني أبو لجين وقال : لا يحملني أحد غيرك أنت وفلان ! فهو يعرفنا شخصياً لأجل هذا يثق بنا ..

أبو لجين ضخم البُنية ، طويل القامة ، ثقيل الوزن ، حاولت إقناعه بأن نتبادل الأدوار مع الإخوة ، ولكنَّ المُصاب لا يثق بأحد !

نعود أدراجنا على يسارنا ساتر بطول 3 كيلو متر يفصل بيننا وبين التلة ، سنمشيها تحت المطر و الطين و الإنهاك و التعب ! حاملين أبا لُجين ! ..

جاءَ صوت جديد هذه المرَّة ، صوت الملعونة المُسيَّرة ، تُصحح الأهداف مباشرة للهاون ، قضينا الليلة كلها في 3 كيلو متر نمشي و تمشي فوقنا المُسيَّرة ، وتمشي معنا قذائف الهاون !

نقِف تقِف معنا ! وتنهال القذائف علينا ، نمشي تمشي معنا و تمشي معنا القذائف ! لم أكن أرى لهذه المحنة من خلاصٍ و انتهاء ، ولا لهذه الليلة من نهاية !

الكيلومترات المعدودة أصبحت مسافات طويلة ! و أبو لجين يفقد الوعي ! و المطر و الطين لا ينتهي ! يا رب أنجدنا ويسِّر لنا ..

كانت أقصى آمالي تلك اللحظات أن ينتهي شحن بطارية المُسيَّرة ! أو ينفجر مدفع الهاون من كثرة القذائف ! أو نموت وننتهي من هذه القصة !

ضربٌ من الخيال ، ولكن لابد لشيء ما أن يُنهي هذه الليلة ، هناك نهاية لما يحدث ولكن متى ؟

أخيراً وصلنا ، سلَّمنا المصاب للطبية ..

سقطنا على الأرض من التعب لا ندري أين نحن ! و إذ أبو جندل يُنادي ، هناك مجموعة أخرى من إحدى الكتائب الأخرى ، عالقة في الداخل لا بد من إحضارها فوراً !

أبو جندل يمزح !! عقلي يُحدثني ! كان هذا حلم أم خيال ، بالتأكيد ليس حقيقة ! ولكن كان بالفعل حقيقة !

سنرجع الكيلومترات مرةً أخرى مشياً تحت المُسيَّرة و القصف نُحضر المجموعة و نعود أدراجنا ! مَرَّة أخرى تحت نفس المُسيَّرة و نفس القصف ! يا الله !

كانت كل قذيفة تنزل تحمل معها الموت الزُؤام ، سأموت بهذه ، لم أمُت ! ربما بالتالية ! لم أمُت بعد ، بالتأكيد هذه ولا مفر ! لم يحدث أيضاً !

وصلنا من التعب مرحلة أننا فقدنا الإحساس بأقدامنا من كثرة التعب ! هي تمشي تلقائياً ليس نحن من نتحكم بها !

دخلنا القرية أحضرنا المجموعة بعد لحظاتٍ من الاشتباه أنهم عدو !

- من أنتم ؟
- بل من أنتم ؟!

صوت فتح الأمان من أكثر من 20 سلاح

هذا الصوت وحده كفيل بقتلك ! نعم 20 سلاح من مجموعتنا و 20 من المجموعة الأخرى في نفس اللحظة يفتحون النار على بعض لمسافة أقل من 10 أمتار !

كوميديا سوداء ! بالتأكيد لن ينجو أحد ولكنه لم يحدث ! إذ تعرّف برحمة الله أحد الأخوة على الآخر!

كنا تابعين لجيش الخلافة و كانوا تابعين لجيش حلب و المعركة كانت مفاجأة فلم يكن هناك تنسيق على اللاسلكي بالقدر الكافي ! كِدنا نقتل بعضنا البعض ولكن الله ستر ولله الحمد !

عُدنا أدراجنا ، سقطت قذيفة بيني وبينها الساتر ! صُرِعت أذني لم أعد أسمع بها في هذا اليوم من ألم الصوت !

وصلنا القرية ظاو ما تبقَّى من شيء اسمه القرية !

14 مصاب ، قتيلين ، 4 فقط هم من نجوا ، و أنا منهم ولله الحمد و المنة !

ذهبنا للنوم أو قل فقدنا الوعي لمدة يومين ! نصحو للصلاة ونعود للنوم !

لعنة الله على الهاون ما أخبثه ! القذيفة الصامتة ، أو الخبيثة ، إذ لا تسمع صوتها إلا لحظة الانفجار !

أبو لجين دخل في غيبوبة لمدة 10 أيام ثم فارق الحياة نسأل الله له القبول !

فيما بعد كل المجموعات قُتلت في معارك مُتفرِّقة تقبلهم الله من الشهداء .. اللهم آمين

لم ينجو أحد سواي و أخ واحد معي ..

هذه قصة حقيقية لتذكير الأخوة أن الجهاد ليس ما تراهُ في الإصدارات من فتحٍ دائم ونصر دائم ! بل هناك مما لا ترهُ من الآلام و المحن وهذا هو الأصل في الجهاد !

#مُخلفاتُ_حرب

#ليلة_في_دهاليز_كويريس

#حلب

#محمد_رحَّال